العلاقات الليبية مع دول الجوار الأفريقية
(النيجر انموذجا)

د.ابراهيم الناني الصادق
كلية الآداب/ جامعة طرابلس

كـان لموقـع ليبيا الجغرافي، ومازال حتى الآن الدافـع الكبير في مسـار العلاقـات الليبيـة الأفريقيـة بصـورة عامـة، والـدول المجـاورة بصـورة خاصـة على مـر العصـور، حيث أسهـم ذلك في ربـط ليبيـا بعلاقـات وروابـط مع تـلك الأقطار الأفريقية المجاورة مدعمـة بالمصالـح المشتركـة وتشابكهـا،وتعددهـا،وتنوعهـا المبنيـة على بعض العوامل الجغرافيـة،والاقتصاديـة ،والدينيـة والسياسيـة ... الخ حيث لم يعترض مسـار تلك العلاقات أي عائـق من أي نـوع .

ونظـراً للتفـاوت في تأثير الأبعاد الثقافية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . فسوف أحاول تحديـد أثـر كل بعـد من تلك الأبعـاد بصـورة سهلـة ومختصـرة ومفيـدة حتـى يمكننـي إظهـار أثـر كل بعد من تلك الأبعـاد على العلاقات الليبيـة مع تلك الأقطار الأفريقية المجاورة .

فالنسبة للبعـد التاريخي يظهـر لنا الدور العظيم الذي قام به الدين الإسلامي في دفـع مسـار تلك العلاقات . ومنذ الفتـح الإسلامي لليبيا وانطلاق الدعوة الإسلامية ونشرهـا من ليبيا إلى تلك الدول عـبر السـودان الغربي حيث سجلت بداية التأثيرات الثقافية الإسلامية في الانتشار والقبـول في عمـق القارة الأفريقيـة .

وكان من أبـرز وأهـم نتائج تلك الدعـوة وحركتها تجديد نظام طرق القوافل بطريقة أعم وأشمل، حيث كان التأثير الإسلامي الـوافـد من ليبيا مقترناً بالتجارة وبقيـة النشاطات الاقتصادية المختلفـة . وكان من بين أهـم إفـراز ذلك تـدفق الهجـرات البشرية من شمـال القارة الأفريقية وبين غربها ووسطها[1] . كمـا كان من نتائجهـا أيضـاً أن فرضت التجـارة على التجار الليبيين أن يسلكـوا بقوافلهـم طرقـا مختلفـة، كان من أهـم نتائجهـا ظهـور ثلاثـة طـرق أساسيـة كـان لهـا الـدور الأهـم في ربـط وتعزيـز الـروابـط التجاريـة والثقافيـة بين ليبيا والأقطـار الأفريقيـة المجاورة من دول غـرب أفريقيا وهـذه الطـرق :

الطريـق المؤديـة إلى كانـو، وساكاتـو في السـودان الأوسـط .

طريـق برنـو .

طريـق واداي .

[1] قمر الدين فضل الله . لمحـة تاريخية عن مملكـة سنغـاي الإسلامية . مقال نشر بمجلة كلية الدعـوة الإسلامية .

استطاعت القوافل التجارية عن طريق هذه الطرق تعزيز وتنمية نشاطها الاقتصادي وبصورة عامة نقل البضائع بين أفريقيا وأوروبا بصورة مستمرة من وإلى دول الجوار الأفريقية وبقية الدول في الشمال الأفريقي وأوروبا عن طريق ليبيا حيث كانت غات مركزاً حيوياً في تجارة القوافل، وخاصة تجار الجملة، وتجار التعامل الدولي ،وخاصة تجارة الحبوب . كما تقترن بتجارة الحبوب تجارة ملح بيلما (كوار) وهي قاعدة واحة كوار الواقعة في منتصف الطريق بين فزان وبرنو وتشتهر بثرواتها من الملح حيث يأتي كل عام طوارق الجنوب بآلآف الجمال ويأخذون الملح ويحضرون بمقابله مصنوعات وحبوب بلاد السودان والمناطق المتاخمة له والصحراء .[1] وقد ساعد كل ذلك في تعزيز العلاقات التجارية، والاقتصادية، والثقافة بين الشمال الأفريقي بصورة عامة وليبيا والسودان الغربي بصورة خاصة ، كما عزز العلاقات الاجتماعية بين الجاليات العربية والليبية والمواطنين بدول الجوار حتى وصل الأمر حد استقرار الكثير من التجار العرب والليبيين في تلك الأقطار المجاورة ، وقويت بذلك شوكة العلاقات بينهم وبين سكان تلك الأقطار حتى وصل الأمر حد المصاهرة بينهم .

كان هذا شأن العلاقات الليبية مع دول الجوار وخاصة جمهورية النيجر في الماضي ، أما الآن ومنذ فترة ليست بالقريبة فشهدت تلك العلاقات تقدماً ملحوظاً عزز أواصر تلك العلاقات بين ليبيا ودول الجوار . حيث استطاعت ليبيا بدافع انتمائها الأفريقي الذي منحته دفعاً قويا ، استطاعت أن تبني علاقات سياسية متينة شملت كافة الأبعاد الأساسية حتى توجت بظهور تجمع دول الساحل والصحراء؛ ليكون رابطة متينة بين دول الجوار ولبنة نحو بناء اتحاد أفريقي عملت ليبيا على تنميته حتى أصبح حقيقة واقعة .

جمهورية النيجر أنموذجاً

دولة أفريقية من دول الجوار لليبيا وعضو من أعضاء تجمع الساحل والصحراء وعضو في الاتحاد الإفريقي وترتبط بعلاقات أخوية وثقافية اجتماعية موغلة في القدم، وإنه منذ فترة اتجهت ليبيا بعلاقاتها نحو أفريقيا، والاهتمام بها وبسكانها، ازدادت تلك الروابط قوة ومتانة ... حسب نتائج الإحصاء الذي أجري في النيجر سنة 1993 بلغ عدد سكان جمهورية النيجر أكثر

[1] الدواخل الليبية : مجموعة دراسات للرحالة الألماني غوتلوب أدولف كراوزة .ترجمة د. عماد الدين غانم . منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، سلسلة نصوص ووثائق (28) 1998 ، ص 124 .

من 9 ملاييــن نسمــة يمثلـون تركيبـة عرقيـة وقبليـة مختلفـة، تمثل بنـاء المجتمـع النيجـري ، ومن بين تلك الجماعات والقبائل :

جماعـات الهوسـا (Hausa) وهم الغالبية ويتمركزون في الشمال والشمال الشرقي للبلاد ويشكلون حوالي 56% من عدد السكان .

جماعات الجرمـا (Jurma) ويوجدون في الجنوب والجنوب الغربي ،ويشكلون أكثر من 20% من عدد السكان .

الفولانيـون : أو جماعات الفولاني (Fulani) وينتشرون في طول البلاد وعرضها إلا أنهم يتمركزون بصورة خاصة في الوسط حول العاصمة النيجرية نيامي ويشكلون أكثر من 8% من عدد السكان .

جماعات الطـوارق (التوارق) Tuareg ويستقرون في شرق البلاد وشمالها ، ويشكلون أيضاً أكثر من 8% من عدد السكان .

جماعات البيري بيري رد كانوري أيضاً ينتشرون في عدة مناطق من النيجر ويشكلون أكثر من 4% من عدد السكان .

جماعات العرب والتبو وجماعات الغورمانشي، ويشكلون أكثر من 1% من عدد السكان .[1]

وعلى الرغم من هذه التركيبة السكانية المتغايرة الأعراق والقبائل وكذلك تعدد اللغات واللهجات فإن هذه الجماعات استطاعت أن تعيش في سلام ووئام، وأن تقف جميع هذه الجماعات في وجـه المستعمر حين قــدم لاحتـلال النيجـر ومن أهـم اللغات التي تستخدم في النيجـر بعد اللغـة الفرنسيــة التي فرضـت لتكون اللغـة الرسميــة هناك.لغـة الهوســا، وتنوعها وهي لغـة غرب أفريقيـا في عمومهــا،ولغـة الجـيرما ،وكذلك اللغة التارقيـة أو لغة جماعات التوارق .

ومع تعــدد وتنـوعها البنية الاجتماعية الثقافيــة في النيجـر تتعـدد وتتنوع نشاطات تلك الجماعات في الجانب الاقتصادي ، تمارس جماعـات الهوسا والجرما النشاط الزراعي، وكذلك النشاط التجاري، وهذه الجماعات مستقـرة في القرى وفي المدن، ويعـرف عن جماعات الفولاني تطلعهم وشغفـهم بالمنافسة في المجالات الإدارية والسياسية ، وتمارس جماعات التوارق بصـورة أساسية التجارة والنشاط التجاري إلى جانب

[1] هاشم خضر الجنابي ، وطه حمادي الحديثي :قارة أفريقيا : دراسة عامة وإقليمية لأقطارها غير العربية ص 429- 535.

اهتمامهم بتربيـة المواشـي والإبل منذ أمد بعيد المعـروف عنـد المتخصصـين في غرب أفريقيـا والنيجر بصـورة خاصـة .

إن المجتمع النيجري يقوم على أساس اثنولوجي أو شعبي قوامه الرابطـة الـدمويـة والقبليـــة يمثل فيهـا رئيـس القبيلـة المركـز الجـوهـري والأسـاســي في الـولاء

حيث يعطيـه مركـزه كرئيس قبيلـة اختصاصات اجتماعيـة، واقتصادية، وسياسية والإسـلام الدين والعقيدة التي يعتنقهـا أكثر من 85% من سكان البلاد وللإسـلام الـدور الأكـبر في عمليـة التمـازج الثقافـي بيــن هـذه الجماعـات المتغايــرة التركـيب العرقـي والانتمـاءات القبليـة . [1]

" التـوارق " (Tuareg)

يعتبر التوارق من بيـن أقــدم الجماعـات الأفريقية، وخاصــة في منطقـة الصحراء الكـبرى ، وتمتـد تجمعات هـذه الجماعـات على طـول ما يعـرف اليوم بتجمــع الساحـل والصحـراء ، عرفت هـذه الجماعـات عنـد الكـثير من الكتاب والرحالـة العـرب، وغـير العـرب ببنائهـا الاجتماعـي البـدوي المميز وخاصــة الجّمالة منهم ، وعـرف عنــهم أيضـاً شجاعتهـم وقـوة بأســهم، وخاصـــة حـينما توغلت القـوات الأوروبيـــة المستعمــرة فتصــدوا لها، وسجلـوا بذلك بطولات عظيمـــة ،وهـم حـراس الصحـراء وسكانها ، ويختلف العلماء حول نسبـهم إلا أن المرجح أنهـم ينتمون للأصل العربي القادم من الجزيرة العربية قديماً وهم مسلمون.

ويتألـف المجتمع التارقى كمـا ورد في كـتب العلمــاء الذين درسوا تاريخهم منـد منتصـف القـرن التاسـع عشـر من عـدة أصـول قبلية يتفرع كل أصل منها إلى عدد من الفروع الفرعية، ومن أهم هذه الأصول :

النبـلاء أو الاهقـــارن (Ahaggaren)

الانتصـار أو كيـل الانتصـار (Antesar , Kel Antesar)

الاســـبن أو الكيــل إيـر (Asben . Kel Air)

الأوليمنـــــــدن (Awelliminden)

الأزقـــــــر (Azjer)

إفـــــــورا (Ifora)

أود الأن (Udalan)

[1] فتحي محمد أبو عيانة ، جغرافية أفريقيا ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ، 1996ف ، ص 229 – 242 .

هـذا التقسيـــم لأصـول التـــوارق كمـا ورد في دراسـة الانتربولوجـي جـورج بيـتر مـيردوك (George , P. Murdock) الـذي خصصــه لأفريقيـا وشعـوبهـا [1].

عـرف عن الـتوارق وجودهم في الصحـراء وذلك منـذ زمـن موغـل في القــدم، وأن ثقافتــهم صبغــت بهــذه البيئــة القاسيــة ، كمــا عــرف عنــهم ممارســة البــداوة وحيــاة التنقل والترحــال منـذ القـدم فقـد عـرف عنــهم تربيتــــهم للإبـل، والغنــــم ،والماعــــز، والمعيشــــة على لحومهــــا وألبانهــا والاستفـادة من أصوافـها وأوبـارها وجلـوهـا .

أمـــا بالنسبـــة لـتوارق الشمـــال فتقـــوم بينـهم ثـلاث طبقـات من القبائل كما وردت في دراســة الرحالة الألماني كـراوزه ، وهـذه القبائل :

قبائل نبيلــة وهـم الأهقــارن .

قبائل المـوالي وهـم طلا كاون .

قبائل الأمغـــاد أو الرقيــق .

يقـــدر كراوزه أن كيل خالة وتيتـوك أهـم وأقــوى قبـائل الأهقـارن ، بينمــا يقـدر قبيلتي الأورغـن والإمنغســتن الأقــوى والأهـم بين الأزقــر [1].

أمــا بالنسبــة لـتوارق كيل إيــوي Kel Ewey فإن بالإمكان التعـرف عليــهم من خــلال نشاطاتـهم الاقتصـادية التي أفرزت بنيتـهم الاجتماعيــة وخاصــة نشاطـهم الخاص بتجارة القوافل بين منطقـة ايروكانـو، وكذلك تربيتــهم للمواشـــي،وخاصـــة في المنطقــة بين آيــر ومناطـق الهـوسـا في جنـوب النيـجر، وكذلك من خـلال الصناعات الحرفيــة .

وخـلاصــة الموضـوع فقـد خلص الباحـث إلى أن العلاقـات الليبيـــة مع دول الجـوار قديمــة قـدم التاريـخ المكتـوب بما في ذلك الكـتب الدينيـة، وأيضـاً حركــة السكـان الذي نتـج عنــه الاختــلاط والتبـادل في الأفكار بين الشعـوب سـواء كانت عربيــة أو أفريقيــة ونتيجــة للقـرب الجغرافي بيــن ليبيا ودول الجـوار بصفـة عامـة وهـذا كلـه لعب دوراً مهمــاً في الامـــتزاج الحضـاري وسرعـة الاندماج . ومما زاد الأمـر في توطيـد هـذه العلاقـات بـزوغ فجـر الإســـلام في القرن السابـع الميلادي ودور المجموعات العربيـــة الإسلاميــة التي استقـرت في شـرق أفريقيـــا وقامـــت بـدور كبير في نشـــر الإســـلام بيـــن القبائـــل الأفريقيـــة، وكان لهـا تأثـــير واضـــح في أوجـــه الحيـــاة الاجتماعيـة والاقتصاديـــة والثقافيـــة على امتـداد الساحل الشرقـي للقـارة [1].

---

[1] Mordock G. P. Africa : Its Peopies and Their Cuiture History . MGraw Hill Book CO .N .Y .1959, P.405 .

[1] الدواخل الليبية .في مجموعة دراسات للرحالة الألماني غوتلوب أدلوف كـــراوزة ، ترجمـــة د. عماد الدين غانم ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية سلسلة نصوص ووثائق (28) الجماهيرية ، 1998 .

[1] محمد المبروك يونس " دور ليبيا في مسار العلاقات العربية الأفريقية " دار الكتب الوطنية بنغازي (1984) ص 15 .

ومن الثابت تاريخياً أن منطقة المغرب العربي بفضل الفتوحات العربية الإسلاميــة هي الأخرى لعبت دوراً حيوياً في مد جسور التلاقي بين شعوب شمال أفريقيا بما فيهم ليبيا[2]. والواقع أن ليبيا على مر أحقاب التاريخ أسهمت بدورها في مد جسور التلاقي مع معظم الأقطـار الأفريقيــة في بوابتهـا الشمالية، وكانت أحد المعابر المهمة التي امتدت عبرها الصلات الروحية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية .

[2] أبن بطــوطه رحلتي (بيروت : دار صادر (1964) ص 277 .

المراجع

أولاً . المراجع العربيـة :

ابن بطـوطة رحلتي (بيروت : دار صادر (1964).

الـدواخل الليبية .في مجموعة دراسـات للرحالة الألماني غوتلوب أدلوف كـراوزة ، ترجمـة د. عماد الدين غانم ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية سلسلة نصوص ووثائق (28) الجماهيرية ، 1998 .

فتحي محمد أبو عيانة ، جغرافية أفريقيا ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ، 1996ف .

قمر الدين فضل الله . لمحـة تاريخية عن مملكـة سنغـاي الإسلامية . مقال نشر بمجلة كلية الدعوة الإسلامية .

هاشم خضر الجنابي ، وطه حمادي الحديثي :قارة أفريقيا : دراسة عامة وإقليمية لأقطارها غير العربية .

محمد المبروك يونس " دور ليبيا في مسار العلاقات العربية الأفريقية " دار الكتب الوطنية بنغازي .

ثانياً : المراجع الأجنبيـة :

(1) Mordock G. P. Africa : Its Peopies and Their Cuiture History . MGraw Hill Book CO .N .Y .1959.